الرد على أصحاب نظرية المصادفة

بقلم: الدكتور أحمد أديب أحمد

كلُّ شـيءٍ في الوجودِ لابدَّ له من مُوجِدٍ أَوْجَدَهُ، هذا يعني أنَّ العالمَ لابدَّ له من موجِدٍ أوجدَهُ أيضًا، والْمُوجِدُ هو الذي ندعوهُ (اللّه). فإذا جارَيناهم في مقولَتهم فلْنتساءلْ:

إذا سألْنا أحدَهم: هل حادثُ الْمُرورِ يحدثُ بالْمُصادَفةِ؟ قال: نعم. قلنا: هل حدثَ من دونِ مُسَبِّبٍ؟ قال: لا.

وإذا سـألناهُ: هل يتمُّ تكوينُ الجنينِ في بطنِ أمِّهِ بالْمُصادفةِ؟ قال: نعم. قلنا: هل حدثَ من دونِ تزاوجٍ؟ قال: لا.

وإذا سـألناهُ: أَتكونُ إصـابةُ الشـَّخصِ بمرضٍ ما بالْمُصـادفة؟ أَيُولَدُ طفلٌ ذكيٌّ وطفلٌ غبيٌّ بالْمُصادفةِ؟ أَيُولَدُ الطِّفلُ مشوَّهًا بالْمُصادفةِ؟ أَمْ أنَّ لهذا مُسَبِّباتٍ؟

إنَّ هـذا الْمَـاديَّ يَعترفُ بالْمُســبِّباتِ الْمَاديَّةِ التي أدَّتْ إلى حُدُوثِ حَدَثٍ (وَصــَفَهُ مَجَازًا بالْمُصادفةِ)، فماذا إذًا عن خلقِ الكونِ؟

سـَيَعترفُ أنَّ له مُسـَبِّبًا لوجودِهِ، وهذا الْمُسـَبِّبُ نُسـمِّيهِ (اللّه). ولِتَقومَ حُجَّتُنا عليه سـوف نسـتشـهدُ بأقوالِ العلماءِ حتَّى يكونَ كلامُنا بعيدًا عن أسـانيدِ الشـَّرائعِ، فمِن ذلكَ ما قالَهُ الفيلسوفُ الرِّياضيُّ رينيه ديكارت: (إنَّ الانسجامَ الوظيفيَّ في الكونِ يرجعُ الفضلُ فيهِ إلى اللّه).

ويبدو أنَّ الْمَادِّيينَ لم يَقرؤوا ما قالهُ كريسي موريس رئيس مجمع العلوم في نيويورك: (أسبابُ الإيمانِ بالحقيقةِ الإلهيَّةِ يعرفُها العلماءُ وتأبَى عليهم عقولُهم أن يَردُّوها إلى الْمُصادَفةِ)، فإذا ما نظرنا إلى التَّنسـيقِ الرِّياضـيِّ للكونِ وما تمَّ اسـتنتاجُهُ من خلالهِ من علاقاتٍ وقوانينَ ونظريَّاتٍ رياضيَّةٍ منذ آلافِ السِّنينِ دَلَّ ذلك على دقَّةِ الإبداعِ الكونيِّ، فهل يكونُ هذا محضُ مُصادفةٍ؟

إذا كنَّا نحتاجُ لسـاعاتٍ لحلِّ مسألةٍ رياضيَّةٍ أو هندسيَّةٍ دقيقةٍ للوصولِ إلى إنشاءِ مخطَّطٍ لبناءٍ سـنُشيِّدُهُ على أرضِ الواقعِ، فماذا عن الكونِ الذي تمَّ إنشاؤهُ بهذا التَّنظيمِ البديعِ الذي لا تَرقَى إليه أفكارُ البشرِ! وهل سمعَ أحدُنا أنَّ بناءً قد تمَّ تشييدُهُ بالْمُصادفةِ؟ فماذا عن البناءِ الكونيِّ؟

من جهـةٍ أخرى: إذا نظرنـا لآلةٍ تعملُ بتقنيَّةٍ ما، هل يمكنُ القولُ: إنَّها تعملُ بحركةٍ آليَّةٍ دونَ أنظمةٍ ضابطةٍ لها مَن صَمَّمَها؟ هذا لا يمكنُ أن يحدثَ، فهل يُعقلُ أن يعمل الكونُ بحركةٍ آليَّةٍ دونَ نظامٍ ضابطٍ له مَن صَمَّمَهُ وهو الذي ندعوهُ (اللّه)؟

يظنُّ البعضُ أنَّ العقلَ موجودٌ في الْمَادَّةِ! حسـنًا، هل جهازُ "الكمبيوتر" جهازٌ مفكِّرٌ؟ هل له عقـلٌ؟ هـل يمكنُ القول: إنَّ الْمُعَالِجَ هو عقلٌ مفكِّرٌ؟ ما الذي يجعلُ هذه الْمَادَّةَ "أي الكمبيوتر" ذات فـائـدةٍ؟ أليس النِّظـامُ الذي يقودُ حركةَ هذه الْمَادَّةِ وعمليَّاتِها وترتيبَها وتحويلَ الْمُدخلاتِ بالْمُعالجةِ إلى مُخرجاتٍ؟ هل هذا النِّظامُ من أصـلِ الْمَادَّةِ؟ أم له مُنظِّمٌ ومُبرمِجٌ قامَ بتَصـميمِهِ ليُحرِّكَ هذه الْمَادَّةَ ويجعل منها مادَّةً صالحةً للاستعمال؟ وإذا كانَ هذا الأمرُ يتعلَّقُ بجهاز "الكمبيوتر"، فماذا عن الكونِ العظيم؟ وإذا كان الإنســانُ لا يُدركُ خفايا عملِ هذه الأجهزةِ التِّقنيَّةِ التي يســتخدمُها، فماذا عن إدراكِ الخفايا الكونيَّةِ؟

يقول العالم ألبرت أينشـتاين: (يشتملُ ديني على الإعجابِ الْمُتواضعِ بتلكَ الرُّوحِ العُليا غيرِ الْمَحدودَةِ التي تكشــفُ في سـرِّها عن بعضِ التَّفصـيلاتِ القليلةِ التي تســتطيعُ عقولُنا الْمُتواضــعةُ إدراكَها. هذا الإيمانُ القلبيُّ العميقُ، والاعتقادُ بوجودِ قوَّةٍ حكيمةٍ عُليا، نستطيعُ إدراكَها خلالَ ذلك الكونِ الغامضِ، يُلهِمُني فكرتي عن الإله). هذا يعني أنَّهُ لم يتوصــَّلْ لفكرتِهِ عن الألوهيَّةِ من خلالِ أسـانيدِ الشـَّرائعِ، إنَّما من خلالِ العلمِ الْمَادِّيِّ، الذي جعلَهُ مُنطَلَقًا للوصـولِ إلى الْمَاورائيَّاتِ، وبهذا أثبتَ أنَّهُ لا مكانَ للمُصــادفَةِ في عمليَّةِ الإيجادِ والخلقِ، ولا في تنظيمِ الكونِ بعدَ الخلقِ، حيثُ قال أينشــتاين أيضــًا: (لا يُمكنني أن أعتقـدَ أنَّ الخالقَ يلعبُ النَّردَ بالدُّنيا؛ أي أنَّه لم يَخلقِ العالَمَ فحسبْ، بل خلقَهُ بحكمةٍ وفطنةٍ، ولغرضٍ ثابتٍ خاصٍّ)، فهل بعدَ الكلامِ كلامٌ للمادِّيِّينَ الحمقى؟

نكتفي لعدم الإطالة والله أعلم

الباحث الديني الدكتور أحمد أديب أحمد